الدرس الثالث: الاقتراب الاتصالي

- **أهداف الدرس:**

- التعرف على الاتصال والاتصال السياسي، وعلى أهم العناصر الأساسية له، وتحديدا لأهم مرتكزات العملية الاتصالية، مع توضيح أهمية اقتراب الاتصالي في العملية السياسية، وشرح التحليل الاتصالي للنظام السياسي عند "كارل دوتش"، مع الافتراضات التي يقوم عليها، وبيان الانتقادات الموجهة للاقتراب الإتصالي.

- **أسئلة الدرس:**

- ما المقصود بالاتصال والاتصال السياسي؟
- ما هي عناصر الاقتراب الاتصالي؟
- فيما تتمثل مرتكزات العملية الاتصالية؟
- ما أهمية اقتراب الاتصال في العملية السياسية؟
- ما التحليل الاتصالي للنظام السياسي عند "كارل دوتش":
- ما هي افتراضات الاقتراب الاتصالي عند كارل دوتش؟
- كيف حلل كارل دوتش الاقتراب الاتصالي؟
- ما هي الانتقادات الموجهة للاقتراب الاتصالي؟

- **عناصر الدرس:**

1- تعريف الاتصال والاتصال السياسي
2- عناصر الاقتراب الاتصالي؟
3- مرتكزات العملية الاتصالية
4- أهمية اقتراب الاتصال في العملية السياسية
5- التحليل الاتصالي للنظام السياسي عند "كارل دوتش"
6- افتراضات الاقتراب الاتصالي عند كارل دوتش
7- الإطار التحليلي لكارل دوتش
8- الانتقادات الموجهة للاقتراب الاتصالي

تمهيد:

يعد الاقتراب الاتصالي من الاقترابات المهمة في دراسة العلوم السياسية على وجه العموم ودراسة النظم السياسية على وجه الخصوص، إذ يحاول المواطنون إيصال رغباتهم

ومطالبهم إلى السلطة الحاكمة في الدولة، كما تسعى هذه السلطة الحاكمة في الدولة إيصال قراراتها إلى المواطنين بغية نيل رضاهم وتأييدهم، ومن المؤكد أن تلك القرارات والنتائج التي تترتب عليها تقوم على المزيد من المعلومات، وبذلك يسري الاتصال في كل جوانب الكيان الاجتماعي والسياسي، وعليه فإن دراسة النظم السياسية وفق الاقتراب الاتصالي تتركز حول السلوك والأفعال التي تتعلق بتبادل المعلومات عبر ما يسمى بالرسائل فيما بين الحكام والمحكومين في الدولة.

1- تعريف الاتصال والاتصال السياسي: عملية أساسية في المجتمع يتم من خلالها نقل الأفكار والمعلومات والآراء والتجارب على اختلاف طبيعتها ومجالاتها بين شخص وأخر.

ويعرف الباحث عامر مصباح الاتصال بأنه:" تلك العملية التي يتفاعل فيها شخصان أو أكثر عبر واسطة (الرسالة)، تنقل بأداة اتصالية معينة غير محددة الشكل تبعا لتطورها عبر الزمان والمكان (الأداة)، وتؤدي إلى تأثير الأشخاص في بعضهم البعض من خلال ما نسميه بالإقناع والتأثير، ويتوقف على عملية الاتصال حركة المجتمع وتطوره وتقسيمه للعمل فهي الوجه الديناميكي التفاعلي للمجتمع".

والاتصال السياسي بمفهومه البسيط هو عملية نقل الرسائل بين الفاعلين السياسيين سواء على الصعيد المحلي أو الوطني أو الدولي أو بينهم وبين الأفراد في سياقات معينة، يقوم المرسل بمقتضى هذه العملية بإرسال رسالة لتعديل سلوك المتلقي (المستقبل) أو تغييره.

2- عناصر الاقتراب الاتصالي: يقوم المقترب الاتصالي بدراسة النظم السياسية من خلال دراسة السلوكات والأفعال التي تتعلق بتبادل المعلومات "الرسائل" فيما بين الفاعلين السياسيين، بحيث لا يمكن تصور عملية صناعة القرار دون أن يكون للاتصال دورا محوريا فيها وذلك عبر المعلومات التي يتم تبادلها بين نخبة صناعة القرار وأعضاء المجتمع. وبشكل عام، يسلط مقترب الاتصال الضوء على العناصر التالية:

- قنوات تدفق المعلومات بين الفاعلين السياسيين.
- أنواع المعلومات أو الرسائل.
- القواعد والإجراءات التي تحكم الاتصالات داخل النظام السيامي.
- حدة المشاعر المرتبطة بمسائل معينة.
- أنواع الاستجابات التي يمكن توقعها من الذين يتلقون الرسائل.

3- مرتكزات العملية الاتصالية: ترتكز العملية الاتصالية على مجموعة من المرتكزات أهمها:

- **المرسل أو مصدر الرسالة،** والذي تنطلق منه المعلومات سواء كان فردا أو جماعة أو مؤسسة.

- **الرسالة:** تتضمن معلومات يمكن أن تصف ظاهرة أو مشكلة أو حدثا معينا، ويمكن أن تكون عبارة عن تأييد لموقف أو احتجاج عن سلوك معين.

- **القناة:** هي الأداة أو الواسطة التي تنقل الرسالة إلى الجهة المعنية بها، وقد تكن القناة لغة منطوقة أو مكتوبة أو عبر الصور أو وسائل الإعلام المختلفة، وتختلف هذه الوسائل في نمط نقلها للرسائل، وفي تأثيرها.

- **المستقبل:** هو الجهة التي تتلقى الرسالة قصد الاستجابة لمضمونها

- **التغذية الإسترجاعية:** تعكس مدى تأثير الرسالة في المستقبلين لها وكيفية استجابتهم لمضمونها، ويعرف ذلك من خلال ردود أفعالهم المعبرة عن رضاهم من عدمه عبر إرسالهم لرسائل جديدة إلى المرسل.

ويمكن فهم أسس العملية الاتصالية من خلال مثال الانتخابات كنظام اتصالي، بحيث يكون المرشح للمنصب السياسي هو المرسل أو مصدر الرسالة، والرسالة هي ما يطرحه على الناخبين من وعود وبرامج واقتراحات، والقناة قد تكون الإذاعة أو التلفزيون أو الصحف، والمستقبل هو جمهور الناخبين، والتغذية الإسترجاعية هي قبول أو رفض برنامج المترشح.

وبذلك فإن العملية الاتصالية هي نسق متكامل، أي تغير في أحد مكوناته، ينتج عنه تغير في المكونات الأخرى.

4-أهمية اقتراب الاتصال في العملية السياسية: يلعب الاتصال دورا مهما في العملية السياسية، ففي عملية صناعة القرار يحتاج صانع القرار السياسي إلى المعلومات المتعلقة بمطالب الناس وانشغالاتهم، وهذا لا يتم إلا من خلال الاتصال بين النخبة السياسية وأعضاء المجتمع، كما أن تعبئة المجتمع وتجنيده يتم عبر العملية الاتصالية والتي تساهم أيضا في التنشئة السياسية، وفي تكوين الثقافة السياسية للمجتمع، وللاتصال دور مهم في السياسة الدولية سواء في حالة الحرب أو السلم، حيث تساهم العملية الاتصالية بشكل كبير في حل الصراعات وتسويتها، كما يعتبر الاتصال أهم الأسس التي ترتكز عليها سياسة الردع.

5- التحليل الاتصالي للنظام السياسي عند "كارل دوتش": يعد عالم السياسة الأمريكي "كارل دوتش" Karl Deutsch (1912-1992) أبرز المفكرين الذين استعملوا مفهوم الاتصال كاقتراب في تحليل الحياة السياسية، ذلك في مجموعة مؤلفات أشهره "العصب الحكومي"، و"السياسة والحكم"، ويرى كارل دوتش أن النظام السياسي في حقيقته هو نظام اتصال يتميز بالقدرة على توجيه الفرد، فالنظام السياسي يقوم بمجموعة من الوظائف، منها ما يرتبط بالحفاظ على وحدة النظام واستمراريته، ومنها ما يرتبط بالتكيف مع البيئة الداخلية والخارجية، ومنها ما يرتبط بتكامل وظائفه في إطار البنية الوظيفية. (أنظر الشكل)

نموذج مبسط للمقترب الاتصالي لكارل دوتش

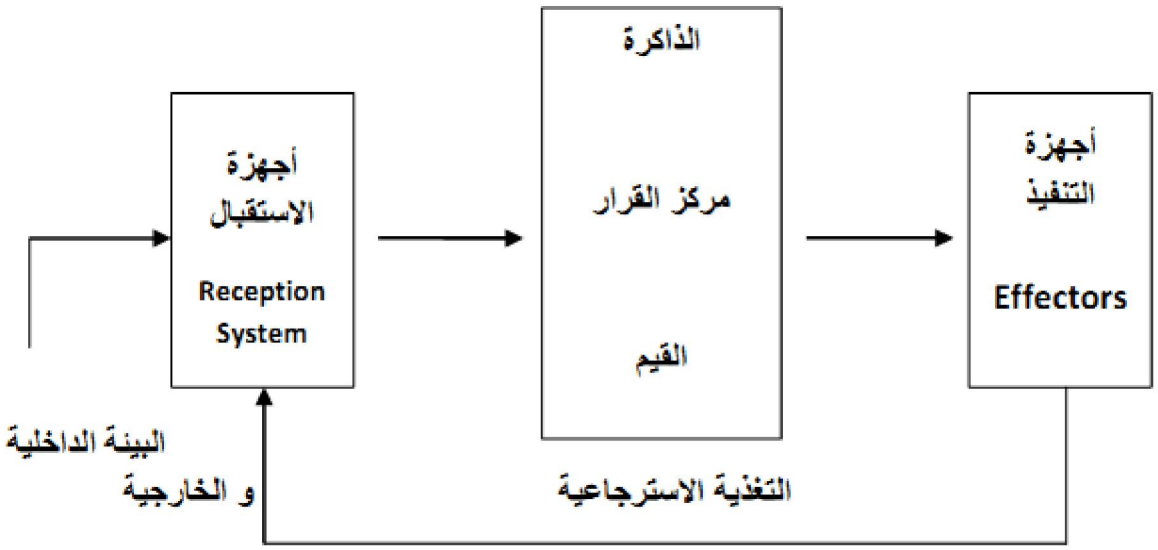

ويرى كارل دوتش أيضا أن القيام بهذه الوظائف يتطلب من النظام السياسي الحصول على المعلومات سواء من داخل النظام أو من خارجه، ويعتمد في ذلك على ثلاثة عناصر أساسية هي: المعلومات، وعملية الاتصال التي يتم بموجبها تحويل تلك المعلومات، ثم القنوات التي من خلالها تصل المعلومات لتتحول إلى قرارات وسلوك. لذلك اعتمد كارل دوتش المعلومة كوحدة لتحليل النظم السياسية، واعتبرها جوهر العملية السياسية، ويمكن أن تفقد المعلومة قيمتها إذا تعرضت للتشويه وسوء الفهم.

6- افتراضات الاقتراب الاتصالي عند كارل دوتش: يقوم هذا الاقتراب على أربع افتراضات أساسية هي:

– ترتبط قدرة النظام السياسي على استقبال ومعالجة كل المعلومات الواردة إليه في أية لحظة زمنية بعدد وأنواع وحالة القنوات الاتصالية المتاحة. كما ترتبط بدرجة الدقة في جمع المعلومات ودرجة التشويه الذي يطرأ على المعلومات معالجة المعلومات، وتتمثل في معالجة المعلومات وتصفيتها عن طريق استدعاء الخبرات السابقة المخزنة في نسق الذاكرة، حتى تتم عملية التخزين فيما بين لحظة استقبالها ولحظة الاستجابة لها. إذ كلما كان هناك عدم دقة في جمع المعلومات، أو ازدياد درجة التشويه، لابد وأن يواجه النظام متاعب لأن استجابته لن تكون للموقف الفعلي وإنما لتصور غير دقيق ومشوه لخصومه.

– كلما قلت فترة الإبطاء–أي الفترة الزمنية التي تقع بين استقبال المعلومات والاستجابة لها– دل ذلك على زيادة كفاءة النظام في الاستجابة للمطالب.

– إذا عالج النظام المعلومات على الوجه السليم، فمن المتوقع أن تكون قراراته كافية لتلبية المطالب.

– يتطلب اكتساب النظام مقدرة التعليم –أي القدرة على تصحيح وتطوير السلوك– أن يتخلى عن عادات وإجراءات وتصورات قديمة وأن يرسي بدلا منها عادات وتصورات وترتيبات جديدة.

7– الإطار التحليلي لكارل دوتش: يتضمن الإطار الفكري لكارل دوتش العديد من المفاهيم يمكن تصنيفها في المحاور التالية:

أ– مفاهيم تتعلق بالأبنية العاملة: تمثلت في:

– **نسق الاستقبال:** Réception System يشير إلى مجموعة الأجهزة والقرارات التي تتلقى المعلومات من البيئة الداخلية والخارجية للنظام السياسي (استقبال. فحص. تصفية).

– **نسق الذاكرة:** Memory ويعني بها دوتش أوعية اختزان المعلومات الخاصة بالأوضاع الداخلية والخارجية.

– **نسق القيم:** Value System ويشير إلى مجموعة القيم التي يفاضل على أساسها صناع القرار بين البدائل.

– **نسق التنفيذ:** Effectors وتعني أجهزة تنفيذ القرارات.

ب– مفاهيم تتعلق بتدفق المعلومات ومعالجتها: تمثلت في:

– **الحمل:** Load يعني مجموع الرسائل والمعلومات القادمة إلى النظام من البيئة، وكلما زاد ثقل الحمل على النظام صعب على النظام التكيف والتفاعل معه، فالحمل يعني ضغوط البيئة على النظام.

– **طاقة التحمل:** Load Capacity يعني القدرة على استقبال كل المعلومات الواردة ومعالجتها، ويتوقف ذلك على عدد القنوات الاتصالية وأنواعها وحالتها، الدقة في جمع المعلومات؛ التشويه...

– **الاستدعاء:** Recall يقصد به قدرة النظام على استدعاء الخبرات السابقة التي يمكن أن تفيد في تحليل المعلومات الواردة إليه.

ج– مفاهيم تتعلق بالقرارات وآثارها: تمثلت في:

– **المخرجات:** Outputs هي القرارات التي يصدرها النظام في استجابة منه للمعلومات التي تصله من البيئة.

–**الإبطاء:** Lag تشير إلى المدة ما بين استقبال النظام للمعلومة أو الرسالة (الحمل) ورده عليها وكلما طالت تلك المدة كلما عبر ذلك عن ضعف كفاءة النظام وضعف تكيفه.

– **الكسب:**Gain هو مقدار التغيير الذي يحدثه النظام في البيئة بعد اتخاذه القرار. فكلما كان التغيير كبيرا كلما كان الكسب كثيرا.

– **التغذية الاسترجاعية:** Feed Back هي عملية تدفق معلومات جديدة من البيئة إلى النظام كرد فعل عن نتائج أفعاله وقراراته، وقد تكون ايجابية أو سلبية.

د– مفاهيم تتعلق بالتجديد والتكيف: تمثلت في:

–**القدرة على التعلم:** تشير إلى قدرة النظام على تصحيح سلوكه وتطويره (احتفاظ النظام بصورة عن نتائج أفعاله).

– **التحول الذاتي:** تشير إلى قدرة النظام على تطوير تجديد مؤسساته.

– **المبادرة:** تشير إلى قدرة النظام على توقع مطالب البيئة واستباقها.

8– الانتقادات الموجهة للاقتراب الاتصالي: واجه الاقتراب الاتصالي جملة من الانتقادات نذكر منها ما يلي:

- يستخدم الاقتراب الاتصالي مفاهيم مشتقة من هندسة الاتصال والقوى في تحليل النشاط السياسي الذي يباشره الإنسان صاحب الأحاسيس والعواطف التي يصعب التحكم فيها.

- هناك جوانب في نسق الاتصال يصعب إخضاعها للقياس مثل: معنى الرسالة، شدة الرسالة، العلاقة بين مصدر الرسالة وتأثيرها... الخ.
- يدرس الاقتراب الاتصالي الظواهر الإنسانية كما يدرس الظواهر الطبيعية.

- المراجع:

- بومدين طاشمة، الأساس في منهجية تحليل النظم السياسية، ط1، الجزائر، دار الأمة، 2013.
- حازم جري الشمري، الاتصال السياسي، عمان، دار أمجد للنشر والتوزيع ،2018.
- طه حميد حسن العنبكي، ونرجس حسين زاير العقابي، أصول البحث العلمي في العلوم السياسية، ط1، العراق: دار أوما، 2015.
- عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010.
- عمار بوحوش، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، ط1، كتاب جماعي، برلين، ألمانيا، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2019.
- كمال المنوفي، مقدمة في مناهج وطرق البحث في علم السياسة، جامعة القاهرة، 2006.
- محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، دون طبعة، الجزائر، دار هومة، 2002.
- نصر محمد عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة النموذج المعرفي–النظرية–المنهج، ط1، بيروت، لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2002.
- دالع وهيبة، مطبوعة في منهجية البحث في العلوم السياسية، جامعة الجزائر3، السنة الجامعية، 2021/2020.